المحاضرة الثالثة: أعلام الفلسفة اليهودية

-الاتجاه أو المرحلة الأفلاطونية

1-فيلون الإسكندراني (20أو30 ق م-45م)

1-التعريف بفيلون الاسكندراني: و لد ما بين 20و 30ق م، و توفي 45م، عاش في زمن الحواريين، يعد أكبر ممثل للفلسفة اليهودية في المرحلة الأفلاطونية، فيلسوف لاهوتي يهودي مثقف باليونانية في عصره، كانت له مكانة عظيمة من بين أبناء الجالية اليهودية في عصره، و هو رائد الدراسات التوفيقية بين التراث الشرقي و الفلسفة اليونانية، و قد درس الفلسفة اليونانية و تأثر بها و خاصة فلسفة أفلاطون الى درجة أنه كان يلقب ب"أفلاطون اليهود" ذلك أن فلسفتة كانت تقوم على التوفيق بين التوراة و فلسفة أفلاطون، مع العلم أن التوراة كانت لا تقرأ الا بالترجمة اليونانية،في ظلالانتشار الواسع للثقافة اليونانية، و قسم الباحثون مؤلفاته الى3 أقسام:

-كتابات فلسفية محضة: المجازيات ،موضوعة في خلق العالم في ستة أيام في دوام العالم، في العناية الإلهية.

-كتابات في شرح التوراة (الأسفار الخمسة): مسائل في سفر التكوين، حياة موسى، عرض الشريعة، و قد شرح التوراة بالتراجيم اليونانية للنصوص العبرية التي غزت العقول في ذلك العصر.

كتابات في التبشير والرد على المخالفين: اعتذار من اليهود، كتاب الفروض.

2-فلسفته: ان السؤال الذي يطرح نفسه عند ما نتناول فلسفة فيلون هو: **هل فيلون فيلسوف دين يتناول الدين تناولا عقليا فلسفيا أم هو رجل دين يدافع عن الدين اليهودي ويفسره تفسيرا عقليا في عصر انتشرت فيه الثقافة الفلسفية اليونانية؟**

لقد كان يجمع بين الاثنين، فقد كان يهوديا حار الايمان حسب تعبير "اميل بريه" يحافظ ويدافع عن الشعائر والتقاليد الدينية لشعبه، وكانت مهمة الفلسفة عنده تنحصر في البرهنة على أن حقائق الكتاب المقدس والحقائق الفلسفية متفقان منبعهما واحد هو الله، أي بين رجل الدين الذي يسعى الى تأويل الدين تأويلا عقليا و بين الفيلسوف الذي يسعى الى معرفة الله بالعقل تكامل، فالفلسفة و الدين معا يقودان الى معرفة الله، هذا بعد أن حاول اليهود اظهار أن دينهم يحتوي على فلسفة وهي أسمى وأقدم من فلسفة اليونان، لذلك فلاسفة اليونان هم من أخذوا أراءهم ونظرياتهم من التوراة.**(1)** و لإثبات أن فلاسفة اليونان و خاصة أفلاطون قد أخذوا من التوراة

1-مصطفى النشار "مدرسة الإسكندرية و التراث الشرقي و الفلسفة اليونانية" ص57،58.

hermeneuein-الهيرمونطيقا: مشتقة من الفعل اليوناني، و الاسم (هرمس) هو رسول الألهة الألمب الذي كان يتقن لغة الألهة، و له القدرة على معرفة ما يجول بخاطر هذه الكائنات الخالدة، ثم يترجم مقاصدهم و ينقلها الى أهل الفناء أي الى البشر، و بهذا المعنى أخذت هرمونيطيقا معنى هذا الفهم و تأويل النصوص، و أخذت معنى التفسير الذي يكشف ماهو خفي و مستور وراء النص، و هذا ما يقوم به المؤول، و مصطلح (هرمونيتيكس) الذي ينتهي ب(اكس) يشير الى نوع من العلم أو المجال المعرفي الذي يقوم على مجموعة من القواعد التي تحكم تفسير النصوص، فالتأويل في مراحله الأولى يعني تفسير الكتاب المقدس، لكن التفسير يختلف عن التأويل، فالتفسير هو الكشف و الاظهار يتعامل مع اللفظ، يكون على ما استعصى على الفهم، أو لبس وغموض، وظيفته بيان وضع اللفظ اما حقيقة أو مجازا، بينما التأويل يتعامل مع المعنى ووظيفته تفسير المعنى الباطني.

اصطنع فيلون منهج التأويل، فحاول قراءة التوراة بمصطلحات أفلاطونية، و يثبت وحدة الحقيقة.

و لابد من الإشارة الى أن طريقة التأويل المجازي أو الرمزي كانت مستعملة استعمالا شائعا قبل فيلون عند الاغريق، فكانت مطبقة على الأساطير الاغريقية، ثم عند الرواقيين الذين استعملوا التأويل المجازي بشكل واسع، فكانوا يبحثون عن المعنى المجازي الذي كان ينسب الى الألهة الاغريقية و صفاتها، فزيوس كان يمثل عندهم نارهم الفنانة.(1) و يرون في الواحد رمزا للخير.

1.2-منهج التأويل الرمزي عند فيلون: يرى فيلون أن ما هو حق من الفلسفة هو ما نجده من التوراة من حكمة، فما هو خاص من النصوص الدينية له معنى مجازي يهدف اليه، و هذا المعنى لا يفهمه جميع الناس بل الخاصة منهم فقط، لذلك كان فكره يظهر دائما في شكل تأويل لنصوص التوراة، و غرضه إيجاد المعنى الخفي وراء المعنى الحرفي الذي قصده الله، فهو يرى **أن المعنى الحرفي(اللفظي) يشبه الجسم و المعنى الخفي يشبه الروح، و مع ذلك لا يجب اهمال المعنى الحرفي، بل يجب مراعاة الجسم و الروح معا.(2)**

2.2-نماذج من التأويلات الرمزية لفيلون: كان يهود الإسكندرية و من بينهم فيلون يفسرون التوراة مثلما يفسر الاغريق قصائد هوميروس، فكان يفسر الفصل الأول من سفر التكوين بمصطلحات أفلاطونية كالتالي: ان الله خلق عقلا خالصا في عالم المثل هو الانسان المعقول، ثم صنع على مثال هذا العقل عقلا أقرب الى الأرض هو" أدم" و أعطاه "الحس" و هي "حواء" معونة ضرورية له، فطاوع أي خضع العقل للحس و أنقاد للذة، و هي الحية التي وسوست لحواء، فولدت النفس في ذاتها الكبرياء و هو "قابيل" و جميع الشرور، و انتهى منها الخير، و هو "هابيل" و ماتت موتا خلقيا. كما كان يؤول زواج سيدنا إبراهيم بسارة رمز لاتحاد النفس الصالحة بالفضيلة.**(3)**

يؤول فيلون الأية " انا، اله إبراهيم واله إسحاق و اله يعقوب"(سفر الخروج، 3، 6) تأويلا رمزيا على أنها تمثل مصادر ثلاثة للمعرفة على الطريقة الأفلاطونية، و هي:

-طريق المعرفة أو الدراسة (التعلم): و هي طريق إبراهيم.

-طريق المجاهدة و الزهد: هي طريق يعقوب، و هي طريق الصوفيين.

-طريق الأنبياء: و هي هبة الله، أو نعمة طبيعية عفوية يمثلها إسحاق.**(4)**

كما اصطنع فيلون كذلك الترميز العددي المشهور عند الفيثاغوريين، فيقول " ان الواحد غير مقسم، فهو صورة العلة الأولى و موجد النفس و الحياة، و لكن الاثنين مقسم، فهو مبدأ الشقاق و أخو الشر"**(5)** انه تأويل على غرار الفيثاغوريين و الأفلاطونيين لقصص الميثولوجيا اليونانية.

و غرض التأويل الفيلوني هو الدفاع عن العقيدة الموسوية ضد من اتهموها بأنها كتابة أساطير، و في نفس

1-اميل برييه "تاريخ الفلسفة، الفلسفة الهلنيستة و الرومانية"ج2، ت/ جورج الطرابيشي ص ص 61-64.

2-المرجع نفسه، ص58.

3-مصطفى النشار، المرجع نفسه "مدرسة الإسكندرية و التراث الشرقي" ص58.

4-عبد المنعم الحفني "الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية" ص161.

5-المرجع نفسه، ص 141.

الوقت جعل الشريعة اليهودية شريعة عامة تمثل قانون الطبيعة، غير مختصة بزمان ومكان ما، و تخليص الشريعة اليهودية من طابعها السياسي، فاليهودي دينا لا جنسية.**(1)**

3.2-ميتافيزيقا فيلون:

أ- الله: ان الله عنده نقطة البداية لمن أراد ادراك حقيقة الوجود و العالم، و أهم صفاته هو أنه غير محدد، لا شيء يشبهه، مفارق للعالم، و مع ذلك يعني به، لأنه العلة الأولى له، انه "أبو العالم و ملكه" و هو الوجود الخالق الحر، لا يوجد في مكان و لا في زمان، لأن هو نفسه خالق المكان، يتصف بالسمو المطلق، يفوق في سموه الخير بالذات و الجمال بالذات، مكتف بذاته، لا نهائي و مجرد من الصفات، لأن إضافة أي صفة له تجعله ينزل الى مستوى الكائنات المخلوقة و المحدودة، بسيط غير مركب من جسم و نفس أو هيولى و صورة، أزلي و ثابت، و هو واحد، لأن طبيعته بسيطة غير مركبة، و يصفه بتشبيهات أفلاطون للإله "الشمس المعقولة" "الخير الأول" "منبع الفضيلة" "منبع العلم" "أفضل من الفضيلة" و الجديد في فكر فيلون هو محاولته نفي الصفات الدالة على الجسمية و المكان عن الله، لذلك فمن أراد معرفة الله عليه أن يحاول ادراك ما وراء العالم المحسوس، بل ادراك ما وراء العالم المعقول، و التباين بين الله و العالم عنده يرتكز على أساس أخلاقي ديني، فالله مقدس و طاهر، فلابد أن يكون بعيدا عن أشياء العالم الخارجي، و لا يدنس ذاته بأشياء العالم المحسوس.**(2)**

ب- مشكلة الخلق و افتراض الوسطاء: يرى فيلون أن الله خلق العالم من العدم، فاذا كان كذلك، **فكيف يمكن لله المفارق المتعالي أن يقوم بفعل الخلق و يتصل بالكائنات الناقصة؟**

ان الله لا يرتبط بالكائنات الأدنى الناقصة مباشرة، بل عن طريق كائنات متوسطة أو الوسيط، و هو اللوغوس؟

اللوغوس عنده نوعان: **اللوغوس الباطني أو النفسي (العقل)، و اللوغوس الخارجي: و هو الكلام أو التلفظ.** و هذان النوعان يوجدان في الله و في الانسان، و اللوغوس في الله، اما باعتباره **العقل الإلهي** أو باعتباره **كلمة الله** ، و هناك ارتباط وثيق بينهما، و أفكار العقل و كلمته يوحي بها الى نبي، و من ثمة كلمة الله هي الناموس الإلهي أو الكتاب المقدس و هي أسفار موسى الخمسة، و هي القوة الموجهة للعالم، و هي الفلسفة الحقيقية و المصدر الأول لينابيع المعرفة، و الحكمة باعتبارها الكلمة الخالدة لا تفنى.

اللوغوس الإلهي هو الوسيط الأول و هو مجرد أداة الله الخيرة التي خلق بها العالم، و هو الابن البكر،، و الوسطاء عنده كثيرون: أولهم اللوغوس نفسه، أي كلمة الله أو ابن الله، و تليه الحكمة الإلهية، و يستخدمها أحيانا كمترادفين،**(3)** و ينقسم الى:

1-انسان الله أو أدم الأول: ميزه عن الانسان المخلوق من طين، فالأول عقل انساني محض يقود النفس، فهو غير فاسد، أما الانسان العادي مركب من جسم وروح ، فهو فاسد.

1-مصطفى النشار، المرجع نفسه ص61.

2-المرجع نفسه، ص63،62.

3–اميل برييه "الأراء الدينية و الفلسفية لفيلون الاسكندراني" ص 175.